تأثير الصراع السياسي والاضطرابات على المجتمع الليبي وخاصة مدينة بنغازي ونتائجها ما بعد الحرب

المؤتمر السنوي الأول: النسيج الاجتماعي في المجتمع الليبي (المخاطر والتحديات)

الدكتورة نوره صالح الفايدي

دكتوراه في هندسة العمارة والبيئة المبنية

جامعة البحر المتوسط الدولية

E-mail: NuraAlfaidy@miu.edu.ly
nuraalfaidy@gmail.com

المقدمة

منذ الأحداث التي بدأت سنة 2011 والليبيون يعيشون صراعات مختلفة وعديدة من النواحي النفسية والثقافية والفكرية، في ظل هذه الفوضى التي سيطرت على كثير من المدن نتيجة غياب الحكم والقانون التي يجب أن تفرضها دولة مستقرة، ليبيا ليست الدولة الوحيدة التي واجهة الحرب ولحقت بها الاضرار والأزمات من انقسامات ونزاعات سياسية على السلطة ومسلحين غير قانونيين، وما أدى الى الهجرة والنزوح لكثير من العائلات سواء نزوح من منطقة أو مدينة الى أخرى أو الهجرة من الوطن، ما نشهده اليوم ليس فقط صراع سياسي مسلح على السلطة وإنما أيضا صراع ونزاع فكري اجتماعي على المواطن سببته الأضطرابات الاجتماعية أثناء فترة الحرب ضد الإرهاب وخاصة في مدينة بنغازي، وما أدى الى النزوح والخلط بين الثقافات والأوضاع الاجتماعية في المؤسسات العامة مثل المدارس والمعاهد، والحالة الاقتصادية المتدنية التي أصابت أغلب سكان المدينة، واستغلالا تجار الحرب هذا الوضع من خلال أجور السكن والسلع التموينية العالية، وكانت هذه الضربة القاتلة للمجتمع الليبي وسببت التفكك في النسيج الاجتماع وفتح الفرص لدخول فئات مجهولة والاندماج بيننا وبداء في تغيير طبوغرافية المجتمع وتهديد لحالة الترابط الاجتماعي التي يجب المحافظة على الهوية الوطنية الليبية، والتي أصبحت لها تأثير سلبي على الوضع وترابط المجتمع، ومنع من احتمالية ظهور هويات مختلفة ومتضاربة بيننا، حرب نفسية من كل الاتجاهات ومن جميع النواحي يواجها المواطن الليبي يوميا، بسبب النتائج المترتبة للحرب وتأثيرها على الصحة النفسية والعقلية [6] ، على سبيل الميثاق الصدمة النفسية لها تأثير مباشر على محورين أساسيين وهما:

المحور الاول التي تعرضها المواطن من خوف ورعب أثر أصوات الصواريخ والقذائف والمتفجرات أثناء الحرب، وعدم الشعور بالأمان نتيجة أساسه بالخسارة البشرية أو المادية في أي وقت والاضطرابات نتيجة ما بعد صدمة الحرب التي يتعرض لها المجتمع [5] .

المحور الثاني وهي الصدمة النفسية التي تعرضها المحارب عند قتل إنسان آخر وما بعد الانتهاء من الحرب، وعدم قدرة المقاتلين على التكيف مع حياتهم السابقة، وهذا لا يؤثر عليهم شخصيا فقط بل يؤثر على عائلاتهم والمجتمع. ما سبق ذكرها هي مشكلة معقدة وأزمة في المجتمع، من هنا يجب التركيز على أيجاد الحلول المناسبة لحل مشكلة الحالة النفسية للمجتمع من تفاقم وتدهور الوضع نتيجة تفكك النسيج الاجتماعية، أن الأثار السلبية النفسية، الصحية، التعليمي، الاجتماعية والثقافية أنكاسها واضح جدا على المجتمع وخاصة على الأطفال، وعلى المتخصصين في العلاج النفسي والاجتماعي لبذل الجهود والدراسات المكثفة وحصر المتضررين وإيجاد الحلول المناسبة، ولأهمية هذه الدراسة من مخالفته الحرب من أضرار نفسية واجتماعية على المجتمع الليبي، تحتم علينا تسليط الضوء وإعداد الدراسات العلمية حول أضرار الحرب والآثار النفسية على جميع شرائح المجتمع، للوقوف على الموضوع وتقديم الحلول الممكنة لمعالجة هذه الآثار التي من شأنها أن تسبب ضررا طويل الأمد على المجتمع الليبي خاصة مدينة بنغازي.

أسباب وتأثير الاضطرابات الاجتماعية والتعليمية على المواطن

1- الاجتماعية

يتعرض الكثير من النازحين بسبب الحرب النزوح الى المؤسسات العامة مثل المدارس والمعاهد، وكانت هذه الخطوة أكبر تأثير سلبي على كثير من العائلات النازحة، مما أدى الى حدوث الاضرار والأزمات النفسية في وسط الاسرة وتغيير سلوكيات وثقافة الأطفال بسبب الخلط بين الأسر أو بين ثقافة العائلات المختلفة، وتعرض العائلات الى الاضطراب والقلق الاجتماعي من خلال التجارب العامة اليومية التي يصعب التعامل معها طوال فترة الحرب والنزوح مثل استخدام الحمام العام، التعامل مع الغرباء، التواصل البصري، بدء المحادثات في مواضيع مختلف وقد تكون غير ملائمة مما يؤدي الى صراع ونزاع فكري أجماعي [5] .

فالروابط الاجتماعية قوية جدا في مجتمعنا، لهذا الضرر لا يطال أولئك من هم في مواقع الاشتباكات والنزاع فقط، بل يطال الجميع القريب والبعيد من الموقع، فالاشتباكات المسلحة تكون محصورة في مناطق الاشتباكات فقط، ولكن تواجد الصراع النفسي التي تزرعها القنوات الإعلامية في نفوس الليبيين تشمل الجميع، ليستمر ضرر الصراع من خلال تفاعل الناس مع بعضهم في نقاشاتهم السياسية ولتواصلهم مع بعضهم البعض، مما زاد هذا على التفرقة بين العائلات، وحدثت حالات طلاق وقطيعة اجتماعيه، يصل أحيانا الخلاف حتى للقتل بسبب حرب لا يطالهم منها إلا الأذى والدمار والحزن وفقد الأحبة والذين خسروا أطرافهم وساءت حالتهم الصحية والنفسية، ومنها بدأ الأمراض النفسية والعقلية واضحة على الجميع، أطفال نساء ورجال وشيوخ.

2- التعليمية

نتيجة لهذه الحروب ايضا يتعرض الطفل أو الطالب إلى ضغوط نفسية تنتج عنها بعض الأمراض النفسية، والاعراض النفسية التي تسببها الحرب للطالب في أعماقه تنعكس ارتدادات مختلفة، وتشكل الأثار والإصابات النفسية النسبة الاكبر، يدفع السلوك النفسي السلبي الذي سببه الحرب الى أن يبدأ الطالب في عملية الغش ويختلف هذا الارباك من طالب الى أخرى وما مدى تعرضه من رعب أو صدمات نتيجة الحرب، فتجربة الحرب على طلابنا بالتأكيد تركت أرباك في حياتهم من الاضطرابات النفسية التي تصل إلى درجة الشيوع في الاكتئاب من سماع دوي الانفجارات والقصف والأعيرة النارية التي تركة حالة من الرعب، الاكتئاب، الخوف، القلق، الذعر، الهلع، الغضب، الحزن، الكوابيس الليلية، عدم القدرة على النوم، والتبول اللاإرادي لدى الطالب أو الطفل وتظل لصيقة له لفترة طويل [3] .

مدى تأثير الصدمة النفسية المباشرة على المواطن

1- أثر أصوات الصواريخ والقذائف والمتفجرات أثناء الحرب على المواطن

أن أصوات الانفجارات القريبة من المنازل سبب حالة من الهلع والخوف بين سكان، مما أدى الى ترك منازلهم والنزوح الى أماكم مختلفة داخل وخارج المدينة، والسكان في مدينة بنغازي تعيش حالة الخوف والرعب الدائم كون المعركة قريبة منهم والتي لا تبعد إلا كيلومترات بسيطة، لافتا إلى أن الأطفال لا ينامون الليل ويصحون على أصوات الانفجارات والقذائف والبراميل المتفجرة، وجراء اهتزازات الأبواب ونوافذ بيوتهم.

2- تأثير الصدمة النفسية التي تعرضها المحارب عند قتل إنسان آخر وما بعد الانتهاء من الحرب.

ما تشهده بنغازي من صراع مسلح سياسي اقتصاديا اجتماعي فكري وإعلامي، وأستطاع أن يتجه ضربة قاتلة على كل الاتجاهات للمجتمع الليبي من خلال الحرب النفسية التي يواجها المواطن يوميا، وبسبب الحرب وتأثيرها على الصحة النفسية والعقلية على المواطن [4]، خوفه ورعبه من إثر أصوات الصواريخ والقذائف والتفجيرات، إلى الأثر المباشر نتيجة الخسائر البشرية والمادية، والشعور بالخوف وعدم الأمان، والترقب

المستمر الناتج عن الخوف والتعرض للأذى أو الموت في أي لحظة له ولغيره، وهناك الصدمة النفسية التي سيوجهها المحارب عند قتل إنسان آخر والتبعات ما بعد الحرب، وعدم قدرة المقاتل على التكيف مع حياته السابقة الطبيعية وهذا لا يؤثر عليه فقط بل يؤثر على عائلاته وجيرانه وأصدقائه والمجتمع [2].

الاحصائيات المتعلقة بالصحة النفسية

أعدت المنظمة الليبية للسياسات والاستيراديات إعداد (سمر كمال أبو السعود) بحثا ودراسة على مدينة بنغازي على الصحة النفسية في المستشفيات الحكومية والخاصة وقد جاءت الإحصائيات على النحو التالي:
بلغ عدد الحالات المترددة على العيادة الخارجية بمستشفى النفسية ببنغازي سنة 2016م إلى ما يقارب (9912) حالة منها(8278) من داخل بنغازي فيما بلغ عدد الحالات المترددة من خارج بنغازي (1634)، [2] حالة موزعة كلاتي:

المنطقة	عدد الحالات	المنطقة	عدد الحالات	المنطقة	عدد الحالات
بنغازي	8278	دريانة	45	مسة	3

وبلغ عدد حالات الدخول والايواء في مستشفى النفسية ببنغازي لسنة 2016م ما يقارب(710) حالة منها (514) حالة من مدينة بنغازي و(196) حالة من خارجها وبشكل إجمالي ينقسم عدد الحالات حسب الجنس إلى 589 ذكورا و121 إناثا [2] ، كما توضح الجداول التالية:

المنطقة	العدد	المنطقة	العدد	المنطقة	العدد	المنطقة	العدد	المنطقة	العدد
بنغازي	514	درنة	16	المرج	21	أجدابيا	33	توكرة	7

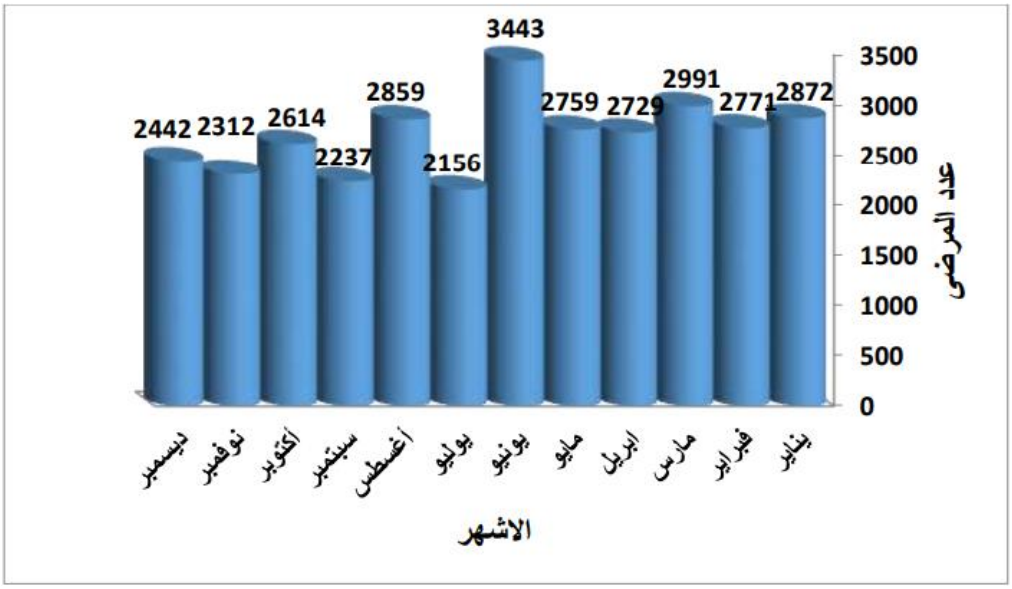

توضيح الاعداد من خلال الاشهر للمرضي المترددين على العيادة الخارجية لسنة 2015 [2]

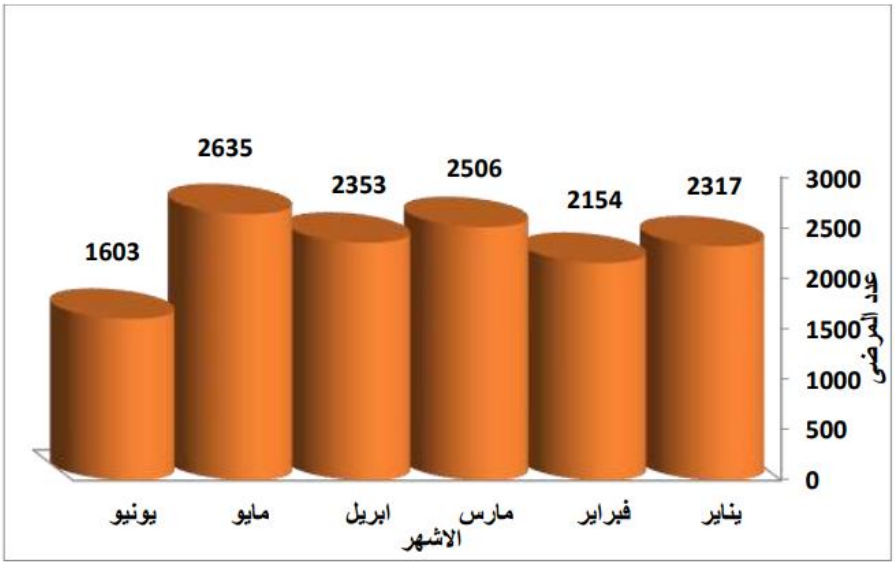

توضيح الاعداد من خلال الاشهر للمرضى المترددين على العيادة الخارجية لنصف سنة 2016 [2]

الحلول المناسبة لمعالجة تأثير الصراع السياسي والإضرابات على المجتمع الليبي

في وضع كيف مدينة بنغازي بعد تعرضها الى حرب بين 2014 - 2017 يحتاج الى حلول مناسبة من كل الجوانب النفسية، الاجتماعية، التعليمة والاقتصادية، فيجب تغير الوضع العام لمخرجات التعليم بعد الحرب

مقارنتا بعدد الحالات النفسية فهو في وضع محرج وخطير جدا، ونلاحظ في دولتنا عدم الاهتمام بهذا الجانب في تخصص الطب النفسي، من هنا لا بد من توجيه الجهود من وزارة الصحة ووزارة التعليم للاهتمام بهذا الملف، وهي التخصصات الطبية لطلبة كلية الطب تخصص الطب النفسي، وعلى الطالب التدريب في المستشفى في مراحل مختلفة من سنوات الدراسة وفق المنهجية لكل سنة، وهذا يعزز من رغبة الطلبة في التخصص في هذا المجال، والتخصص الارشادي والعلاج النفسي الذي سيخرج لنا معالجين نفسيين سيعملون في هذا القطاع الصحي، فالجامعة لازالت تعطي هذه الدراسة بدرجة ليسانس كتخصص نظري بكلية الآداب هو تخصص علمي بمجال العلاج النفسي [1] ، ولهذا يجب أن يوضع منهجية علمية متطورة يترتب عليها مائلي:

1- يجب على وزارة التعليم ووزارة الصحة ووزارة العمل على وضع الاستراتيجيات الوقائية والعلاجية في مجال الصحة النفسية في الجامعات وخاصتا كلية الطب.
2- يمكن ان تستفيد من نتائج الدراسة المنظمات العربية والدولية ومنظمات المجتمع المدني من أجل أعداد البرامج التأهيلية والعلاجية والتدريبية للمصابين بأعراض الضغوط ما بعد الحرب.
3- يمكن لوسائل الاعلام أعداد البرامج الثقافية والتوعوية من أجل التخفيف من حدة الضغوط.
4- يمكن للجامعات والمعاهد والمدارس أعداد البرامج الترفيهية والرحلات بالتنسيق مع منظمة المجتمع المدني.
5- الاهتمام بالمرأة والطفل من خلال منظمات المجتمع المدني وأعاده الثقة بنفسها وعرضهم على الأخصائيين بشكل منتظم.

الخلاصة

أن عبء الاضطرابات النفسية تزايد مع إحداث التأثير الكبير على صحة المواطن ولها عواقب كبرى اجتماعية واقتصادية وتعليمية وعلى مجال حقوق الإنسان كمواطن نتيجة الصراع السياسي والضرابات التي حلت على المجتمع الليبي وخاصة مدينة بنغازي فالنتائج التي أحدثة ما بعد الحرب، قد أوجدت العديد من الاضطرابات النفسية المختلفة ذات الأعراض المختلفة، وتتسم هذه الاضطرابات عموماً بوجود مزيج من الأفكار والتصورات والعواطف والعلاقات غير الطبيعية مع الآخرين، وتتضمن الاضطرابات النفسية: الاكتئاب، والفصام والاختلالات العقلية الأخرى، والخرف، والعجز الذهني، واضطرابات النمو بما في ذلك التوحد.

التوصيات

أيجاد وسائل واستراتيجيات فعالة للوقاية من الاضطرابات النفسية مثل الاكتئاب، وأيضا وسائل للعلاج الفعال للاضطرابات النفسية وطرق للتخفيف من المعاناة التي تسببها تلك الاضطرابات، وأجياد أمور رئيسية تتيح الرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية القادرة على توفير وسائل العلاج والدعم الاجتماعي، ومن خلال الدراسات والبحث نجد أن هناك منظمات تعمل على أستجاب الصحة النفسية للمواطن، في 2013 تم أعتاد جمعية الصحة العالمية في الفترة بين 2013 – 2020 وتتضمن هذه الخطة الى بعض الأهداف الرئيسية وهي ما يلي:

- تصريف الشؤون في مجال الصحة النفسية وتقديم خدمات للرعاية الاجتماعية الشاملة والمتكاملة في البيئات المجتمعية.
- الوقاية من الاضطرابات النفسية وتنفيذ استراتيجيات تعزيز الصحة النفسية.
- جمع البينات وإجراء البحوث وتدعيم نظم المعلومات.

من هنا يجب على الدولة أن تنشأ برنامج مماثل لهذه البرامج الصحية النفسية من أدوات ومواد وكوادر تدريبة لتوسيع نطاق تقديم الخدمات في بنغازي، ولاسيما للمواطن التي تقل عنده الوسائل الصحية والمواد المتاحة، ويجب على البرنامج أن يركز على مجموعة من الحالات ذات الأولوية، مع توجيه برامج خاصة لبناء القدرات إلى مقدمي الرعاية الصحية غير المتخصصين في إطار نهج متكامل لتعزيز الصحة النفسية في جميع مستويات الرعاية.

المراجع العربية

1- حكيمة عبدلايدوم، **"اضطراب الضغط ما بعد الصدمة لدى ضحايا الألغام دارسة لحالات بالجمعية الوطنية للدفاع عن ضحايا الألغام بولاية بسكرة"**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم النفس العيادي، وازرة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة محمد خيضر بسكرة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم علم نفس، 2016، ص 13-34.

2- سمر كامل أبو السعود، **"الآثار النفسية للحرب على المجتمع الليبي"**، المنظمة الليبية للسياسات والاستيراديات، 2017، ص 11، 12، 18- 19.

3- سوسن شاكر مجي، **"اضطرابات الضغوط ما بعد الصدمية التي يعاني منها اعضاء هيئة التدريس في الجامعات العراقية دراسة ميدانية"**، جامعة بغداد، العدد 47، مجلة الفتح، 2011، ص 5، 7-8.

4- ماركو ساسولي وأنطوان بوفييه، **كيف يوفر القانون الحماية في الحرب؟** مختارات من القضايا الخاصة بممارسات معاصرة في القانون الدولي الإنساني، 2011، ص 286- 287.

المراجع الأجنبية

5- José S. Vericat & Mosadek Hobrara, **"From the Ground Up: UN Support to Local Mediation in Libya"**, IPI, International Peace Institute, 2018, Pp 27, 28.

6- Tim Molesworth & David Newton, Report, "**Instability and Insecurity in Libya"**, UNDP – Libya, Analysis, 2015, Pp 10, 28.